عن طريق احتلالهم المراكز الهامة ، غزوها بمالهم من نفوذ قوي لدى الحكومة ، وتمكنوا منها » (٧١) .

وغني عن القول بأن استفحال ازمة الفلاح العربي الفلسطيني ، الى جانب نمو الحركة العمالية العربية الفلسطينية ، افضيا الى وضع ثوري ، توج بانتفاضة تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٣ . فبعد هبة البراق (آب ١٩٢٩) تأكد لجماهير الشعب العربي الفلسطيني عقم الاساليب السلبية في الكفاح ، تلك التي فرضتها عليها قيادة الحركة الوطنية ، كما افتضح امر ممالئة سلطات الانتداب للصهيونية. وبسبب نضوج البرجوازية ، والطبقة العاملة ، وتجذر حركة الفلاحين ، اندفعت الحركة الوطنية تصحح مسارها من العداء لليهود كدين الى معاداة الاستعمار البريطاني باعتباره « اساس البلاء » ، وليس الحكم بينها وبين الصهيونية، كما اوهمتها قيادتها المتهالكة . وادت مساهمة البرجوازية الوليدة الثورية في قيادة الحركة الوطنية ، ونفاذ صبر الجماهير ، الى اعتماد اساليب كفاح ايجابية في مواجهة الاستعمار البريطاني وربيبته الصهيونية . وكان الصدام الدامي الاول ، في اطار المرحلة النضالية الجديدة ، في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٣ ، بين الحركة الوطنية وبين قوات الاستعمار البريطاني (٧٢) .

وهذه الوثيقة التي اصدرها الحزبان الشيوعيان الفلسطيني والسوري ، في العام ١٩٣١ ، تؤكد - بحق - « ان الازمة العالمية الصناعية والزراعية (١٩٢٨ - ١٩٣٢) ، بطريق او آخر ، قد غطت جميع البلاد العربية ، ضاربة بقوة خاصة العمال والجماهير الفلاحية. وانخفاض الاجور والبطالة يزيدان سوءا على سوء مستوى معيشة البروليتاريا ، الامر الذي يدفعها في طريق الكفاح الطبقي الثوري » (٧٣).

مع وصول النازيون الى الحكم في المانيا ، في كانون الثاني (يناير) ١٩٣٣ ، اخذت معدلات الهجرة اليهودية من المانيا الى فلسطين وغيرها في الارتفاع الجامح ، فرارا من الاضطهاد الذي اخذ اليهود الالمان يتعرضون له على يد النازيين فبلغ عدد المهاجرين اليهود الى فلسطين ، في العام ١٩٣٣ وحده ٣٠٣٢٧ مهاجرا، وفي العام ١٩٣٤ بلغ ٤٢٣٥٩ ، وقفز في العام ١٩٣٥ الى ٦١٨٥٤ .

وكان طبيعيا ان يقترن هذا التدفق بتشدد ملحوظ في تطبيق شعاري « العمل العبري » و « احتلال العمل » . اذ سرعان ما شكل الهستدروت « حاميات يهودية » منذ ايلول (سبتمبر) ١٩٣٤ ، لوضع هذين الشعارين موضع التطبيق الصارم ، وبالقوة . وتضاعف، منذئذ ، عدد العمال العرب المطرودين بالجملة من المشاريع اليهودية ، او من تلك التي تنفذها حكومة الانتداب في الاراضي والمناطق اليهودية.

وعند هذا الحد ، بادرت « جمعية العمال العرب » ، بقيادة لشيوعي الفلسطيني المعروف : ميشيل متري ، بتشكيل « حاميات عربية » ، بهدف الحيلولة دون تشغيل العمال اليهود في المشاريع التي تنفذها ، او تديرها، سلطات الانتداب في المناطق العربية من فلسطين ، عوضا عن المشاريع العربية . واتخذت هذه الحاميات من العنف اسلوبا لتحقيق غايتها تلك ، فلا يفل الحديد الا الحديد ! وشملت هذه الحاميات بنشاطها كلا من القدس وحيفا ويافا ، مراكز الاحتكاك والصدام بين العمال العرب ونظرائهم اليهود . واعترف المندوب السامي البريطاني بالقدس ، آرثر واكهوب ، في تقرير سري رفعه الى وزير المستعمرات البريطاني ، كنليف ليستر ، في اواخر العام ١٩٣٤ ، بأن الحاميات العربية ظهرت لمواجهة اعمال الارهاب والعدوان التي يشنها العمال اليهود ، وان الامر تطور ، فظهرت على المسرح السياسي لجان عمالية عربية ، لاول مرة ، في اول تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٤ ، لمناسبة حلول ذكرى وعد بلفور ، حيث اضرب عمال النقل والمواصلات اضرابا شاملا على صعيد فلسطين كلها (٧٤) . فكان اول اضراب سياسي يخوضه قطاع بأكمله ، تقريبا ، من الطبقة العاملة ، هو قطاع السائقين ، وفي طول البلاد وعرضها ، مما يجعله منعطفا سياسيا هاما في حياة الطبقة العاملة العربية الفلسطينية .

الطبقة العاملة وثورة ١٩٣٦

وعندما بدأت البلاد اضرابها الشهير في ٢٠